نهاية شاعر

للأستاذ إبراهيم الوائلي

سل الشاطئ الوسنان والطير والزهرا
أحقاً فقدت اللحن والعطر والخمرا ؟

أحقاً ثوى فى نشوة الحلم شاعر … على النيل كم غنى وكم رتل الشعرا ؟
أحقاً هوى من ذروة الأيك صادح … وكانت به الأفنان حالمة سكرى ؟

سل الشاطئ الوسنان والموج ضاحك
تداعبه الأنسام ناعمة المسرى

وليل الندامى والكؤوس وكرمة … معرشة الأطراف والواحة الخضرا
وعُرساً جلته الفاتنات وزوقت … مواكبه الدنيا فتاهت به كبرا
وشهباً أطلت تسكب النور فوقه … وتنثر من أكمامها الماس والدرا
وطيراً كأحلام العذارى تلاقطت … وما اغتمضت إلا برفرفة وكرا
وغيداً تنال الخطو زهواً وفتنة … ودنيا من الآمال تستقبل البشرى :
أحقاً تثور الصامتات فتلتقى … شموع ولم تبلغ طلائعها الفجرا ؟
فيالك مرساة كالطيف مسرعاً … وغاب عن الآفاق إلا رؤى الذكرى
طوته أعاصير الخطوب وأصحرت … به وهو لما يمسح الطل والقطرا
سل الشاطئ الوسنان أولا تخله … وأحلامه والذكريات وما مرا
فقد يرجع الملاح نشوان باسماً … وقد ودع الأمواج والتيه والبحرا
ستمتع يا ملاحاً تكاسحن جنونها … فهبت على الزورق محمومة كدرا
وأمعنت على القلب الهوم فانطوى … من الأفق والمجداف قد شارف العبرا
ولم تدر أن الزورق السمح مثقل … بآمال قلب جازت المد والجزرا !

* * *

عروس القوافى نام ليلك وانمحت … مساحب أذيال وربيع الهوى ذعرا
وقد أصبح الريحان حولك ذاوياً … ينوح أخاه الآس والزنبق النضرا
وغاب « على » والنشيد وشعلة … من الفكر فى ظلماء قد سميت قبرا
وعاد الخيال العبقرى قصيدة … من الصمت تستوحى المجاهل والقفرا
كأن لم يكن بالأمس ترجيع مطرب … ونغمة عود يسحر اللب والفكرا

* * *

علىّ . ودنيا الشعر بعدك راعها
من الهول أن تستنطق الشوك والصخرا

دعتك لليل الحائرين وبأسهم … وللأمل المكلوم والمقلة الحسرى
وللعاشق الولهان والشوق عارم … وللقلب يصلى من تباريحه جمرا
وللأرض النشوان يستشرف الربى … ويسكب فى أفيائها اللحن والسحرا
وللشرق تدعوه لكل جديدة … وللغرب توليه الأجنحة الغرا

شدوت على النيل الخصيب محلقاً
ولحت على باريس تصطحب « الشعرا »

وطوفت فى الغرب البعيد فلم تدع … هنالك سهلاً يستجيب ولا وعرا

ورافقت عيد « الكرنفال » مهوماً
مع الليل و « الجندول » قد واكب النهرا

وسامرت « لوجانو » تداعب غيدها
وغنيت « فينسيا » وشطآنها الخضرا

وناجيت « كومو » والعرائس تلتقى
عليها تذيع الحب والوصل والهجرا

وودعتها صديان إلا ثمالة … تسرى بها عن نفسك الألم المرا
ترانيم توحى الذكريات نشيدها … وتمرح كالأنسام عابقة نشرا
فقالوا : أديب هام بالغرب واجتوى … ربوعاً غذته الروح والفم والنحرا
وأغرته آفاق وغيد ونهزة … من العمر لم يبرح بها واجداً مغرى !
وما علموا أن الخيال متى سما … طوى بجناحيه العوالم والدهرا

* * *

علىّ . وهذا الشعر تجرى تبثها … نفاثات قلب عز أن يجد الصبرا
وجدتك حيناً تبعث اللحن راضياً … فينساب عن ثغر تبسم وافترا
وآونة ترجيه حيران غاضباً … وتنفث من أحشائك القطع الحمرا
فهل كنت فى الأولى من الدهر بالغاً … مسارب عيش سمحة النبع والمجرى ؟

وهل كنت فى الأخرى على شر مورد
فأوسعت هذا العالم النظر الشزرا ؟

عرست بالضدين حب ونقمة … وأى امرئ لا يجمع الخير والشرا ؟
عذرتك إذ تشكو الحياة ضنينة … وتعرض عنها حين تعرض مزورا
وتنسى من التاريخ أحلام شاعر … وتدفن فى الأوهام عيشك والعمرا
وتستقبل الأيام لا برماً بها … فإن ضقت تلقاها بما يلهب الصدرا
فما أنت إلا الشاعر الحر قد أبى … من الدهر ما لا يقنع الشاعر الحرا

* * *

على . وما أنسى من العمر ليلة[1] … صحبتك فيها باسماً كالندى ثغرا

(١) حفل الأستاذ الجليل الزيات تشرف أحد الشاعرين بالآخر فى ندوة الرسالة .